الإمامُ ابن تيمية والتَّصوُّف

عبد الرَّحمن عمر اسبينداري *

مُقدِّمة

ينشغل المسلمون في كثير من الأحيان عن مهمتهم التي كلفهم الله بها، وهي إخراج الـناس من جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، وذلـك بإثـارة معارك جانبية بينهم لاجتهادات ذهب كل فريق منهم إليها، وبمرور الأيـام تتحول هذه الاجتهادات إلى عقائد تكفِّر الفرق بعضها البعض بموجبها، ويتم إصدار الأحكام والفتاوى بكل بساطة ومن غير تمعن وموضوعية.

ومـن تلـك الصور التي حفل بها تاريخنا الإسلامي، الصراع التقليدي بين دعاة السلفية والصوفية وتكفير بعضهم البعض. وحدث في كثير من الأحيان أن عمم أحد الطرفين أو كلاهما في أحكامه على الطرف الآخر دون بيان ما لهم وما عليهم.

وفي هـذا البحث سيعرض الباحث موقف أحد أعلام الفكر السلفي الذي وقف - بسعة صدره وعظيم فقهه وفهمه وإدراكه لواقع الأمة - موقف الطبيب الرحيم الذي

---

* ماجستير في الدراسات القرآنية والحديثية من كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وطالب دكتوراه بالجامعة نفسها.

يشخص الداء ويصف الدواء، ويبذل جهده للإبقاء على نقاء وصفاء التجربة وتهذيبها مما علق بها من الشوائب، تلك التجربة التي أريد بها الصفاء من الكدر والعلو على الأهواء، والسمو في سماء العفة والطهر والزهد.

وللبحث أهمية خاصة نظراً إلى موقف الإمام ابن تيمية رحمه الله من الصوفية لا يزال غامضاً عند كثير من الناس فكثيراً ما نسمع أن ابن تيمية هو العدو اللدود للتصوف والصوفية على الإطلاق، وعليه حاولت وخلال وريقات قلائل أن أبين الموقف الصحيح للإمام ابن تيمية من الصوفية، وحري بنا نحن المسلمين اليوم أن نعيد فقه الإمام ابن تيمية رحمه الله لواقعنا، وأن نتمثله في تعاملنا مع الاجتهادات المخالفة لنا، وأن نضع حداً للازدواجية الحاكمة في سلوكنا وتصرفاتنا حيث ندعي شيئاً ونتصرف ونتعامل مع ظواهر الحياة المختلفة بشكل مناقض لما ندَّعيه...

وقد تناول الباحث المحاور الآتية: نبذة مختصرة عن حياة الإمام ابن تيمية، الإمام وأصل كلمة "صوفي"، وآراء الناس حول الصوفية ورأي الإمام ابن تيمية، وأنواع السماع عند الإمام ابن تيمية، وموقف الإمام من فكرة الحلول، وموقف الإمام من فكرة وحدة الوجود، وأنواع الفناء عند الإمام.

نبذة مختصرة عن حياة الإمام ابن تيمية رحمه الله

هو الإمام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن تيمية الحراني[1]، ابن المفتي شهاب الدين عبد الحليم...ولد يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة (٦٦١هـ، ٢٢ يناير ١٢٦٣م) بحران، وقدم به والده وباخوته إلى دمشق عند استيلاء التتار على البلاد سنة سبع وستين، فسمع بها من عبد الدائم وابن أبي

---

[1] حران: مدينة تقع في كردستان تركيا حالياً. ولمراجعة الآراء التي قيلت في أصل ابن تيمية انظر: أبو زهرة، محمد: **ابن تيمية حياته وعصره وآراؤه** (القاهرة: دار الفكر العربي، د. ط، ١٩٩١م) ص١٨.البارزاني، عرفات كرم: **نقد الإمام ابن تيمية للثقافات التحريفية في عصره: الغلو الصوفي نموذجاً**، رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير في كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية في قسم أصول الدين ومقارنة الأديان. مطلب: التحقيق العلمي في نسبه، ص٢٩ - ٣٢.

البسر، والمجد بن عساكر، ويحيى بن الصيرفي الفقيه، وابن أبي الخير الحداد، والقاسم الإربلي، والشيخ شمس الدين بن أبي عمر، والمسلم بن علان، وإبراهيم بن الدرجي... تأهل للفتوى والتدريس وهو دون العشرين... وله تصانيف عديدة.[٢]

الإمام وأصل كلمة "صوفي"

تتبع الإمام ابن تيمية رحمه الله أصل كلمة "صوفي"، ناظراً في تطورها الدلالي فذكر ما قيل حولها من الآراء المختلفة، ثم انتهى إلى أن هذه الكلمة لم تكن شائعة في عهد الصحابة حيث يقول :"...وأما لفظ الصوفية فإنه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ، فقيل:

١. إنه نسبة إلى أهل الصُّفة، وهو غلط لأنه لو كان كذلك لقيل صُفِّي.

٢. وقيل: نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله وهو أيضاً غلط، فإنه لو كان كذلك لقيل صَفّي.

---

٢ وقد كتب بخط يده كتبا كثيرة منها: **كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول** (طبع في حيدر آباد ١٣٢٢ هـ) وكتاب **رفع الملام عن الأئمة الأعلام** (طبع في القاهرة ١٣١٨هـ، ١٣٢٣هـ) و(رسالة الفقراء). وقد جمعت عدد من رسائله معا في مجموعة عنوانها (مجموعة الرسائل الكبرى، وقد طبعت في القاهرة عام ١٣٢٣هـ). فضلاً عن كتب كثيرة منها: **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان** (القاهرة ١٣١٠هـ)، الواسطة بين الخلق والحق (القاهرة ١٣١٨هـ)، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** (القاهرة ١٣٢٢هـ)، **الجوامع في السياسة الإلهية والآيات النبوية** (بمباي ١٣٠٦هـ)، تفسير سورة النور (طبع على هامش جامع البيان في تفسير القرآن، وطبع طبعة حجرية في دلهي عام ١٢٩٦هـ)، **والعقيدة التدمرية** (برلين رقم ١٩٩٥)، وغير ذلك كثير. ويجدر بالذكر أن مجموع فتاوى الإمام والمطبوع تحت عنوان (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية) يقع في خمسة وثلاثين مجلداً. وقد أوذي مراراً، وأدخل السجن عدة مرات، ومات في سحر ليلة الاثنين والعشرين من ذي القعدة سنة (٧٢٨هـ) معتقلاً بقلعة الشام. انظر ترجمة الإمام في: الحنبلي، ابن عماد: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط. ت) ج٦/٨٠، والعسقلاني، ابن حجر: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط. ت) ص١٤٤-١٦٠، وابن شطي: **مختصر طبقات الحنابلة**، دراسة: فواز الزمري (د. م: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م) ص٦١-٦٦، **ودائرة المعارف الإسلامية**، ترجمة: أحمد الشنتسناوي، إبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، مراجعة: محمد مهدي علامة (بيروت: دار المعرفة، د. ط. ت) ج١/١٠٩ - ١١٦.

٣. وقيل: نسبة إلى الصفوة من خلق الله وهو غلط، لأنه لو كان كذلك لقيل صفوي.

٤. وقيل: نسبة إلى صوفة بن بشر بن اودين طانحة، قبيلة من العرب كانوا يجاورن بمكة من الزمن القديم، ينسب إليهم النُّساك، وهذا وإن كان موافقاً للنسب من جهة اللفظ، فإنه ضعيف أيضاً، لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النساك...

٥. وقيل: وهو المعروف أنه نسبة إلى لبس الصوف، فإنه الصوفية ظهرت أولاً من البصرة، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد وعبد الواحد من أصحاب الحسن البصري، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر الأمصار، ولهذا كان يقال: (فقه كوفي وعبادة بصرية"[٣]. وكلام الإمام لا ينفي وجود هذه الكلمة قبل القرن الثالث، إذ ظهرت وبرزت في تلك الفترة بوصفها مدرسة ومؤسسة.

وما رجحه الإمام ابن تيمية من أنه نسبة إلى لبس الصوف، هو الرأي الذي انعقد عليه إجماع أراء المختصين في الدراسات الصوفية من المستشرقين، أمثال: فون كريمر، ونولدكه، وكولدزيهر، ونيكلسون، وماسينيون، وآربري، وأشار إليه وصححه من القدماء: السراج، والكلاباذي، والسهروردي، وابن الجوزي..وابن خلدون وآخرون.[٤]

آراء الناس حول الصوفية ورأي الإمام ابن تيمية

بعد أن تتبع الإمام ابن تيمية أصل الكلمة، ومن أين جاءت يذكر ما آل إليه أمر الصوفية والتصوف، وكيف تشعبت الصوفية وتنوعت وصارت أصنافاً وأنواعاً مختلفة، ويذكر الفروق بين كل واحد من تلك الأصناف ومدى قربها وبعدها من الدين الصحيح حيث يقسم الصوفية إلى ثلاثة أصناف: صوفية الحقائق، صوفية الأرزاق وصوفية الرسم، فيقول الإمام في هذا الصدد:

---

٣ ابن تيمية، أحمد عبد الحليم: **مجموع الفتاوى**، جمع وترتيب: عبد الرحمن العاصمي الحنبلي وابنه (د. م: د. ن: ط١، ١٣٩٨هـ) مج١١/٥-٦.

٤ انظر: فتاح، عرفان عبد الحميد: **نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها** (بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م) ص١٢٤.

"وصـــارت الصـــوفية ثلاثة أصناف: صوفية الحقائق، وصوفية الأرزاق، وصوفية الرسم. أما صوفية الحقائق: فهم الذين يرون أن الصوفي مَنْ صفا من الكدر ويشترط فيهم ثلاثة شروط، هي:

١ - العدالة الشرعية بحيث يؤدون الفرائض ويجتنبون المحارم.

٢ - الـــتأدب بآداب أهل الطريق، وهي الآداب الشرعية في غالب الأوقات، وإما الآداب البدعية الوضعية فلا يلتفت إليها.

٣ - أن لا يكـــون أحدهم متمسكاً بفضول الدنيا، وإما من كان جماعاً للمال أو كان غير متخلق بالأخلاق المحمودة، ولا يتأدب بالآداب الشرعية، أو كان فاسقاً فإنه لا يستحق ذلك.

وأما صوفية الأرزاق[٥]: فهم الذين وقفت عليهم الوقوف، كالخانقاهات فلا يشترط في هـــؤلاء أن يكـــون الواحد منهم من أهل الحقائق، فإن هذا عزيز وأكثر أهل الحقائق لا يتصفون بلزوم الخوانك. وأما صوفية الرسم: فهم المقتصرون على النسبة، فهمهم في اللباس والآداب الوضعية ونحو ذلك، فهؤلاء في الصوفية بمنـــزلة الذي يقتصر على زي أهل العلم وأهل الجهاد ونوع ما من أقوالهم وأعمالهم بحيث يظن الجاهل حقيقة أمره أنه منهم وليس منهم"[٦]. وقد اسماهم الهجويري - من قبل - بالمستصوفة.[٧]

فتبين لنا من تقسيم الإمام للصوفية أنه لا ينظر إلى الصوفية نظرة واحدة ولا يحكم علـــيهم بحكم عام بخلاف ما يتصوره كثير من الناس، بحيث إذا ذكر اسم الإمام ابن تيمـــية تداعـــى إلى الذهن مباشرة أنه الرافض والمكفِّر والمبدِّع للصوفية عامة. إلا أن المتتـــبع لكـــلام الشـــيخ رحمه الله -وكما أشرنا إليه- أنه يقسم التصوف إلى أقسام ويصنف الصوفية إلى أصناف ويحكم على كل صنف بحكم يناسب ما هم عليه، حيث

---

[٥] سمو بصوفية الأرزاق لأنهم يعتمدون في أرزاقهم على الناس.

[٦] ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، مج١١/٩-٢٠.

[٧] الهجويري: **كشف المحجوب**، دراسة وترجمة وتعليق: إسعاد عبد الهادي قنديل (مصر: مطابع الأهرام، د. ط، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م) ص٢٣١.

إنه فرق بين التصوف السني[٨] الموافق للآداب الشرعية وبين المخالف له.

وينقل لنا الإمام بنفسه تنازع واختلاف الناس في موقفهم من الصوفية والتصوف حيث يقول وبنص الكلمة: "...تنازع الناس في طريقهم - الصوفية - فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا: إنهم مبتدعون، خارجون عن السنة، ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف، وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام. وطائفة غالت فيهم، وادعوا أنهم أفضل الخلق، وأكملهم بعد الأنبياء وكلا طرفي هذه الأمور ذميم. والصواب: أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب. ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاص لربه، وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة[٩]، ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم كالحلاج...".[١٠]

فقد تبين لنا من كلام الإمام ابن تيمية أنه عالم موضوعي في حكمه على الصوفية، وأنه يملك روح التسامح ويبذل جهده للتوفيق بين اجتهادات طوائف الأمة ويحاول توحيد صفوفها وذلك بذكر الإيجابيات والسلبيات. فلم يهاجم التصوف في جميع صوره على نحو ما يفعله البعض في وقتنا الحاضر، دون تفريق بين السني منه والملتزم بالآداب الشرعية وبين الطُّرقية التي ابتعدت كثيراً عن الصواب.

يقول الدكتور الطبلاوي بعد أن ينقل قول الإمام ابن تيمية "وأولياء الله هم المؤمنون المتقون، سواء سمي أحدهم فقيراً أو صوفياً أو فقيهاً أو عالماً أو تاجراً أو جندياً أو صانعاً أو حاكماً أو غير ذلك"[١١]، يقول: "ومثل هذه العبارات لابن تيمية عن الصوفية تبين لنا

---

٨ ويمثل هذا التصوف السني الجنيد (ت ٢٩٨) ومدرسته في بغداد، وأبو سليمان الداراني (ت٢١٥) ومدرسته في الشام، وذو النون المصري (ت٢٤٤) في مصر. ووضع هؤلاء الصوفية وأمثالهم في القرنين الثالث والرابع نظاماً كاملاً في التصوف في ناحيتيه النظرية والعلمية... انظر: فؤاد، عبدالفتاح أحمد: **ابن تيمية وموقفه من الفكر الفلسفي** (الإسكندرية: دار الدعوة، ط٢، ١٩٨٧م) ص٢٣٥.

٩ سنتحدث عنهم تحت عنوان (الاتحاد، الحلول، وحدة الوجود).

١٠ ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، مج٢٢/١١، ص١٧-١٨.

١١ المرجع نفسه. مج٢٢/١١.

روح التسامح وبهذه الروح الطيبة السمحة التي نجدها عند ابن تيمية يجب أن ندعو - كما دعـــا هو - إلى التوفيق والتقريب بين السلفية ومشايخ الصوفية، ونعمل بكل ما في طاقتنا وجهدنـــا لإزالة شقة الخلاف بين الطرفين فكل طائفة لا تخلو من عيوب تكون عقبة في الدعـــوة إلى الإسلام. كالتعصب والجمود والتشدد والتطرف وكذلك الشعوذة والغلو في المشـــايخ، والبدع والمنكرات كل ذلك لا يفيد في الدعوة إلى الإسلام الصحيح قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ {البقرة: ١٤٣}.[١٢]

ويؤكـــد الإمـــام ابن تيمية رحمه الله في كثير من المناسبات أن السالك لابد له من الالـــتزام بموافقة الشريعة وإلا سينتهي به الحال إلى الخروج عن جادة الحق والصواب وبموافقـــة الشريعة يصبح التصوف تصوفاً مقبولاً حيث يقول: "فالسالك طريق الفقر والتصـــوف والـــزهد والعبادة إن لم يسلك بعلم يوافق الشريعة وإلا كان ضالاً عن الطـــريق، وكـــان مـــا يفســـده أكثر ما يصلحه، والسالك من (الفقه والعلم والنظر والكـــلام)، إن لم يتابع الشريعة ويعمل بعلمه كان فاجرا ضالا عن الطريق، فهذا هو الأصل الذي يجب اعتماده في كل مسلم"[١٣]. وأكثر صراحةً وأشدُّ وضوحاً من هذا مـــا قالـــه الإمـــام ابن تيمية في أعمال القلوب - التحفة العراقية - وهو ما يدل دلالة واضـــحة على سعة صدره وعظيم فقهه وفهمه وعلى موضوعيته في إصدار الأحكام حيـــث يصـــف بالانحـــراف كل من لم يلتزم بأسس الموضوعية في تعامله مع ظاهرة التصـــوف فـــيقول ما نصه: "وكان المشايخ المصنفون في السنة يذكرون في عقائدهم مجانبة من يكثر دعوى المحبة والخوض فيها من غير خشية لما في ذلك من الفساد الذي وقع فيه طوائف من المتصوفة، وما وقع في هؤلاء من فساد الاعتقاد والأعمال أوجب إنكار طوائف لأصل طريقة المتصوفة بالكلية، حتى صار المنحرفون صنفين: صنف يقر بحقها وباطلها، وصنف ينكر حقها وباطلها كما عليه طوائف من أهل الكلام والفقه، والصواب: هو الإقرار بما فيها وفي غيرها من موافقة الكتاب والسنة، والإنكار لما فيها وفي غيرها من مخالفة الكتاب والسنة".[١٤]

---

[١٢] الطبلاوي، محمود سعد: **التصوف في تراث ابن تيمية** (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط. ١٩٨٤م) ص٥١.

[١٣] ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، مج١/٢٦-٢٧.

[١٤] ابن تيمية، أحمد عبد الحليم: **أعمال القلوب أو المقامات والأحوال "التحفة العراقية"** (طنطا: دار الصحابة للتراث، ط١، ١٤١١هـــ، ١٩٩٠م) ص٨٥.

أنواع السماع عند الإمام

يصنف الإمام ابن تيمية رحمه الله السماع إلى صنفين ويبين مدى صواب كل صنف، الصنف الأول وسماه السماع الإيماني القرآني النبوي الديني الشرعي، الذي هو سماع النبيين وسماع العالمين وسماع العارفين، وسماع المؤمنين، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الذينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمَ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾ {مريم: ٥٨}، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِيْنَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيْمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ {الأنفال: ٢}.

ويضيف الإمام بقوله: وكما مدح المقبلين على هذا السماع فقد ذم المعرضين عنه في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيْثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً﴾ {لقمان: ٦}، وقوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ {لقمان: ٧}.وهذا كان سماع سلف الأمة وأكابر مشائخها وأئمتها كالصحابة والتابعين ومن بعدهم من المشائخ كإبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، ويوسف بن أسباط، وحذيفة المرعشي، وأمثال هؤلاء، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى الأشعري: يا أبا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يسمعون ويبكون...".[١٥]

وبعد أن يقرر أن هذا السماع هو الموافق لما كان عليه سلف الأمة وأئمتها يبين ما لهذا السماع من فوائد وأثار حيث يقول بعد أن يستطرد في ذكر الآيات القرآنية والآثار: "ولهذا السماع من المواجيد العظيمة، والأذواق الكريمة، ومزيد المعارف والأحوال الجسمية ما لا يتسع له خطاب، ولا يحويه كتاب..".

ثم يبين الإمام ما كان لهذا السماع من أثر في الصحابة وكيف تطور في عهد التابعين حيث يقول: "وهذا سماع له آثار إيجابية من المعارف القدسية، والأحوال الزكية يطول شرحها ووصفها، وله في الجسد آثار محمودة من: خشوع القلب، ودموع العين، واقشعرار الجلد، وقد ذكر الله هذه الثلاثة قي القرآن، وكانت موجودة في صحابة رسول الله ﷺ الذين أثنى الله عليهم، ووجد بعدهم في التابعين آثار ثلاثة:

---

١٥ ابن تيمية: **التحفة العراقية**، ص٨١-٨٣، وانظر: ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، مج١١/٥٨٧-٥٨٨.

الاضطراب، الاختلاج، والإغماء أو الموت والهيام".[١٦]

ومـــن القصص التي تبين أثر السماع على التابعين: "حكاية من مات أو غشي عليه في سمـــاع القرآن ونحوه، كقصة زرارة بن أوفي قاضي البصرة فإنه قرأ في صلاة الفجر: ﴿فَإِذَا نُقِـــرَ فِي النَّاقُورِ﴾ {المدثر: ٨} فخر ميتاً، وكقصة أبي جهير الأعمى الذي قرأ عليه صالح المـــري فمـــات، وكذلك غيره ممن روى أنهم ماتوا باستماع قراءته، وكان فيهم طوائف يصعقون عند سماع القرآن، ولم يكن من الصحابة من هذا حالة، فلما ظهرت أنكر ذلك طائفة من الصحابة والتابعين، كأسماء بنت أبي بكر، وعبد الله بن الزبير..".[١٧]

وأما الصنف الثاني فهو السماع المحدث أو السماع الشيطاني حيث يقول الإمام ابن تيمـــية في بـــيان مدى الانحراف الذي وقع فيه: "وصار في بعض المتصوفة من يطلب تحـــريكها - المحبة - بأنواع من سماع الحديث كسماع المكاء والتصدية، فيسمعون من الأقوال والأشعار ما فيه تحريك جنس الحب الذي يحرك من كل قلب ما فيه من الحب بحيث يصلح لمحب الأوثان والصلبان والأخوان والأوطان والمردان والنسوان كما يصلح لمحب الرحمن...ثم توسع في ذلك غيرهم حتى خرجوا فيه إلي أنواع من المعاصي بل إلى أنـــواع مـــن الفسوق، بل خرج فيه طوائف إلى الكفر الصريح بحيث يتواجدون على أنواع من الأشعار التي فيها الكفر والإلحاد، مما هو أعظم أنواع الفساد...".[١٨]

ويستشـــهد الإمـــام ابن تيمية بقول أحد مشائخ التصوف السني حيث يقول: "والـــذي عليه محققو المشايخ أنه كما قال الجنيد رحمة الله: من تكلف السماع فتن به، ومن صادفه السماع استراح به ومعنى ذلك أنه لا يشرع الاجتماع لهذا السماع المحدث ولا يؤمر به ولا يتخذ ذلك دينا، وقربه فإن القرب والعبادات إنما تؤخذ عن الرسل صلوات عليهم".[١٩]

أمـــا الرقص الشائع في حلقات السماع فإن الإمام يرفض ذلك رفضا مطلقاً، فقد

---

[١٦] ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، مج١١/٥٩٠-٥٩١.

[١٧] **موسوعة فقه السنة (فقه التصوف)**، تهذيب وتعليق: زهير شفيق الكبي (بيروت: دار الفكر العربي، ط١، ١٩٩٣م) ص١٢.

[١٨] ابن تيمية: **التحفة العراقية**، ص٧٩.

[١٩] ابن تيمية، أحمد عبد الحليم: **الفتوى الحموية الكبرى** (مصر: مطبعة المدني: د. ط. ت) ص٨٥-٨٦، وانظر: ابن تيمية: **التحفة العراقية**، ص٧٩.

انـــتقد الإمام ابن تيمية الرقص الذي كان يجري في بعض حلقات الذكر، مستندا إلى قولـــه تعـــالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ {الفرقان: ١٩}، وقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحمن الَّذِيْن يَمْشُونَ على الأَرْض هَوناً﴾ {الفرقان: ٦٣}، ويفسرها بالسكينة والوقار فهذه الحركات لم يأمر بها الله ورسوله ﷺ، وإنما أمر بالركوع والسجود". [٢٠]

موقف الإمام من فكرة الحلول

بعـــد أن ذكرنا موقف الإمام ابن تيمية من التصوف، وقلنا أنه قسم التصوف إلى تصـــوف سني - ملتزم بالأدب الشرعية - وتصوف خرج عن المسار الصحيح لما ذهب إلـــيه أصـــحابه من الأقوال والآراء المخالفة لما عرف من الدين بالضرورة. نذكر هنا موقف الإمام من فكرة الحلول ووحدة الوجود والاتحاد، وسنجد أن الإمام وقف لهذه الأفكـــار الشاذة بالمرصاد على الرغم من أن بعض الذين هاجمهم كانوا متقدمين عليه و لم يعاصـــرهم، أمثال الحلاج وابن عربي، إلا أنه لما كان لآرائهم وأفكارهم من تأثير واضح على الناس نجد أن الإمام ابن تيمية يناقش أفكارهم مناقشة علمية دقيقة، ويبين النقص والخطأ فيما ذهبوا إليه بأدلة عقلية ونقلية معاً.

ويمكـــن أن نـــلخص هـــدف الإمام ابن تيمية فيما دار بينه وبين المتصوفة من مناقشـــات ومـــا كتـــب حولهم من أبحاث بأنه: "إبراز الجوهر الأصلي للتصوف بوصـــفه مدرسة تربوية هدفها الأساسي هو تهذيب النفس وتطهيرها من أخلاقها المـــنحرفة ولذلك عارض كل انحراف طرأ على التصوف فيما يخص هذا الهدف، وكل ما يخالف القرآن والسنة في هذا المجال.

وانطلاقـــاً من هذه القاعدة أظهر ابن تيمية احتراماً كبيراً لرواد الزهد وشيوخ التصوف الذين التزموا بالقرآن والسنة من أمثال: الفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهـــم، والســـري السقطي، والجنيد وحماد الدباس والشيخ عبد القادر الكيلاني،

---

٢٠ درنيقة والمصري، محمد أحمد، سوهام توفيق: **ابن تيمية والصوفية** (طرابلس: مكتبة الإيمان، ط١، ١٤١٣ هـــ، ١٩٩٢م) ص١٠٩، وانظر: ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، مج٥٩٩/١١.

وعدي ابن مسافر...".[٢١]

فبناءً على ما سبق وقف ابن تيمية موقفاً يتميز بالصلابة والشدة من دعاة الحلولية ووحدة الوجود والاتحاد، وأعلن في مناسبات كثيرة كفرهم وإلحادهم وخروجهم عن الإسلام.

فكرة الحلول

أو مذهب الحلول ومعناه أن يحل العنصر الإلهي - اللاهوت - في العنصر الإنساني - الناسوت - وقد نادى بهذا الحلاج، ويتبادر إلى الذهن عند النطق بكلمة الحلول بأن هناك شيئين حل أحدهما في الأخر، يقول الحلاج:

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لا هوته الثـاقب
حتى بدا في خلقه ظاهرا في صورة الآكل والشارب

ويحكي لنا الإمام ابن تيمية: أن القائلين بالحلول فريقان:

فريق يقول: إن الله سبحانه حالٌّ بذاته في كل مكان ويسميهم حلولية الجهمية - الاتحاد المطلق - ويقول فيهم: "هم الذين يقولون أنه بذاته في كل مكان".

ويرى أن القائلين بالحلول على ذلك النحو يتقاربون من القائلين بوحدة الوجود لكن ثمة فرق دقيق، وهو أن أصحاب وحدة الوجود يرون أن الوجود كله شيء واحد، أما هؤلاء الحلوليون فإنهم يرونهما متغايرين، ولكن الموجد حل في الموجود.[٢٢]

والفريق الثاني: هم الذين قالوا إن الله يحل في بعض مخلوقيه، والحلاج من القائلين بها كما سبقت الإشارة إلى شعره. يقول ابن تيمية بعد أن يذكر شعر الحلاج أعلاه: "فهذه قد بين بها الحلول الخاص - كما تقول النصارى في المسيح - وكان أبو عبد الله ابن خفيف الشيرازي - قبل أن يطلع على حقيقة أمر الحلاج - يذب عنه فلما أنشد هذين البيتين قال: لعن الله من قال هذا".[٢٣]

فأصحاب هذا المذهب يذهبون إلى أن العنصر اللاهوتي حل في العنصر الإنساني وذلك بفضل العبودية فيصبح العبد المخلوق إلهاً. وبعد أن يذكر الإمام ابن تيمية بيتاً

---

٢١ المكي، عبدالحفيظ بن مالك عبدالحق: **موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية** (د. م: دار السلام، ط١، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م) ص١٩٦.

٢٢ أبو زهرة: **ابن تيمية حياته وعصره وآراؤه**، ص٢٨٣-٢٨٤.

٢٣ ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، مج٢/٣١١.

أخر للحلاج وهو:

بيني وبينك إني يزاحمني فارفع بحقك إني من البين

يقـــول: "فإن هذا الكلام يفسر بمعان ثلاثة: يقوله الملحد، ويقوله الزنديق ويقوله الصديق. فالأول: مراده به طلب رفع إنيته حتى يقال إن وجوده هو وجود الحق وإنيته هـــي إنية الحق، فلا يقال إنه غير الله ولا سواه. ولهذا قال سلف هؤلاء الملاحدة: إن الحلاج نصف رجل، وذلك إنه لم ترفع له الإنية بالمعنى، فرفعت له صورة، يقولون: أنه لما لم ترفع إنيته في الثبوت في حقيقة شهوده رفعت صورة فقتل، وهذا القول مع ما فيه مـــن الكفـــر والإلحـــاد، فهو متناقض ينقض بعضه بعضاً فإن قوله (بيني وبينك إني يـــزاحمني)، خطاب لغيره، وإثبات إنية بينه وبين ربه. وهذا إثبات أمور ثلاثة ولذلك يقـــول: (فارفع بحقك إني من البين) طلب من غيره أن يرفع إنيته، وهذا إثبات لأمور ثلاثة. وهذا المعنى الباطل، هو الفناء، هو الفناء الفاسد، وهو الفناء عن وجود السوى، فإن هذا فيه طلب رفع الإنية، وهو طلب الفناء".[٢٤]

فكرة وحدة الوجود

يـــبدأ الإمام ابن تيمية بشرح أو بذكر عقائد القائلين بفكرة وحدة الوجود واحدة بعـــد الأخرى، وبعد ذلك يبدأ بالرد عليها وعلى القائلين بها، أمثال ابن عربي، وابن سبعين، وابن الفارض وغيرهم.

وقـــبل أن أذكر كلام الإمام أود أن أشير إلى أن هناك اختلافاً جوهرياً بين الحلول ووحـــدة الوجود، أو بين وجهة نظر الحلاج وابن عربي حول مسألة الواحد والكثرة على الرغم من تقاربهما ألا وهي:[٢٥]

"...الحـــلاج يـــنظر إلى اللاهوت والناسوت (أو الطول و العرض) أو الله والعالم بوصـــفهما شيئين مختلفين ذاتاً وطبيعةً، ويعتقد أن اللاهوت يمكنه أن يحل في الناسوت إذا بلـــغ الناســـوت درجـــة خاصة من الصفاء الروحي نرى ابن العربي يقول: "إن اللاهوت والناسوت أمران اعتباريان يقرر العقل وجودهما لعجزه عن إدراك وحدتهما.

---

٢٤ المرجع السابق، مج٢/٣١٢-٣١٣.

٢٥ عفيفي، أبو العلا: **من أين استقى محي الدين ابن عربي فلسفته الصوفية** (مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، مج١، ج١، مايو، ١٩٢٢م) ص٢٩.

نعم قد يترسل ابن عربي في ذكر الفرق بين الواحد والكثير أو بين الحق والخلق أو اللاهوت والناسوت على أساس منطقي أو ديني فيصف الواحد بأنه واجب الوجود قائم بذاته وأنه (رب) ويصف الكثرة بأنها ممكنة الوجود متوقفة في وجودها على وجود غيرها وبأنها (عبد) الخ. ولكنه يقول: إن هذه فروق يقضي بها العقل البشري القاصر ولا تقرها الحقيقة والواقع إذ الواحد في الواقع هو الكثرة والحق هو الخلق، يقول ابن العربي: والعين واحدة من المجموع في المجموع".انتهى

ووحدة الوجود كما يفهم من المصطلح نفسه أنه لا يوجد ثمة أشياء وإنما الوجود واحد وهو وجود الله، بخلاف الحلول والاتحاد فإنه يفهم منهما أن هناك موجودين، حل أحدهما في الأخر، أو اتحد أحدهما بالأخر.

نجد الإمام ابن تيمية قد شغل نفسه كثيراً في رد وتفنيد ما ذهب إليه دعاة وحدة الوجود...وبعد أن سبر أغوارها كشف عن ثلاثة اتجاهات فيها إن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق، وأن وجود ذات الله، خالق السماوات والأرض هي نفس وجود المخلوقات، فلا يتصور عندهم أن يكون الله تعالى خلق غيره، ولا أنه رب العالمين، ولا أنه الغني وما سواه فقير، ولكن تفرقوا على ثلاث طرق:

"الأول: أن يقولوا إن الذوات بأسرها كانت ثابتة في العدم، ذاتها أبدية أزلية حتى ذوات الحيوان والنبات والمعادن والحركات والسكنات وأن وجود الحق فاض على تلك الذوات، فوجودها وجود الحق وذواتها ليست ذوات الحق ويفرقون بين الوجود والثبوت، فما كنت به ثبوتك ظهرت به في وجدك.

الثاني: أن وجود المحدثات هو عين وجود الخالق ليس غيره ولا سواه.

الثالث: أنه ما ثَمَّ من غير ولا سوى بوجه من الوجوه، وإن العبد إنما يشهد السوى ما دام محجوبا، فإذا انكشف حجابه رأى أنه ما ثم غير وتبين له الأمر".[٢٦]

ويتجه الإمام إلى إبطال مذهبهم بالنقل والعقل فيبدأ بقولهم: إن المعدوم القابل للوجود كان شيئا وكانت ماهيته ثابتة فيقول في ذلك: "والذي عليه أهل السنة وعامة عقلاء بني آدم من جميع الأصناف إن المعدوم ليس في نفسه شيئاً، وأن ثبوته ووجوده

---

٢٦ بدوي، عبدالرحمن: **شطحات الصوفية** (الكويت: وكالة المطبوعات، ط٢، ١٩٧٦م) ص١٥-١٦، وانظر: درنيقة والمصري: **ابن تيمية والصوفية**، ص١٥٣-١٥٤، وانظر: ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، مج٢/١٤٣-١٦٠.

وحصوله شيء واحد، وقد دلّ على ذلك الكتاب والسنة والإجماع في القديم.

قال الله تعالى لزكريا: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾ {مريم: ٩}، فأخبر أنه لم يك شيئاً، وقال تعالى: ﴿أَوَ لاَ يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً﴾ {مريم: ٦٧}، وقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ﴾ {الطور: ٣٥}، فأنكر عليهم اعتقادهم أن يكون خلقوا من غير شيء خلقهم أو خلقوا أنفسهم.

ثم يقول رداً على استدلالهم بالآية ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ {النحل: ٤٠}، يقول: "إن الذي عليه أهل السنة والجماعة وعامة العقلاء إن الماهيات مجعولة، وإن ماهية كل شيء وجوده، وإنه ليس وجود الشيء قدراً زائداً على ماهيته، بل ليس في الخارج إلا الشيء الذي هو الشيء وهو عينه ونفسه وماهيته وحقيقته، وليس وجوده وثبوته في الخارج زائداً على ذلك". ثم يبدأ بقولهم الوحدة بين الحق والخلق، أو بين المخلوق والخالق بوجوه عقلية كثيرة، ووجوه شرعية، ولنختر واحدا من الأدلة العقلية، التي ساقها، وهو أولها.

"لقد قرر ابن تيمية، أن هؤلاء يرون أن هذه الحقائق الكونية كانت معدومة في نفسها، ولكنها أشياء في عينها، وفي علم الله سبحانه، وفي تجليه المطلق، ووجوده المطلق، وكانت متحدة بنفسه ووحدته الذاتية، ثم كانت بعد ذلك على هذه الأشكال. فينظر ابن تيمية كيف تحولت من حالها الأولى، أخلقها الله وبرأها وجعلها موجودة، أم لم تزل معدومة؟ ترتب على ذلك ألا يكون شيء من الكونيات موجودا.

وهذه مكابرة للحس والعقل والشرع، ولا يقوله عاقل، و لم يقله عاقل، وإن كانت موجودة بعد إن كانت معدومة على النحو الذي يقررونه في معنى العدم، يترتب على ذلك ألا تكون وموجدها شيئاً واحداً، لأنه لم يكن معدوماً ووجد، ولأنه هو المؤثر فيها بهذا التغيير، ويجب أن يكون المؤثر والمتأثر شيئين متغايرين".[٢٧]

ثم يسرد الإمام بعض آراءهم حيث يذكر منها: "...يقولون - أي أصحاب وحدة الوجود - إن الوجود واحد، وإن وجود المخلوق هو وجود الخالق...ويقولون: إن وجود الأصنام هو وجود الله، وإن عباد الأصنام ما عبدوا شيئا إلا الله...وأن الحق

---

٢٧ أبو زهرة: **ابن تيمية حياته وعصره**، ص٢٨١-٢٨٢.

يوصف بجميع ما يوصف به المخلوق من صفات النقص والذم...

وأن عُبَّاد العجل ما عبدوا إلا الله، وأن موسى أنكر على هارون لكون هارون أنكر عليهم عبادة العجل...وأن فرعون كان صادقاً في قوله ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ بل هو عين الحق، ونحو ذلك مما يقوله صاحب الفصوص (فصوص الحكم)...ويقول أعظم محققيهم أن القرآن كله شرك، لأنه فرق بين الرب والعبد وليس التوحيد إلا في كلامنا".[٢٨]

وبناء على ما ذهب إليه دعاة وحدة الوجود، نجد الإمام وفي مناسبات كثيرة يصرح بكفر وإلحاد القائلين بذلك، وأن ما ذهبوا إليه يعتبر كفراً بأصول الإيمان الثلاثة: الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر.

١ - أما الإيمان بالله، فجعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق، وهذا غايته التعطيل يقول الإمام ابن تيمية:" وأما الاتحاد المطلق الذي هو قول أهل وحدة الوجود الذين يزعمون أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق فهذا تعطيل للصانع وجحود له، وهو جامع لكل شرك.[٢٩]

٢ - وأما الإيمان باليوم الآخر، فادعى ابن عربي أن أصحاب النار يتنعمون في النار، كما يتنعم أهل الجنة، وإنه يسمى عذاباً من عذوبة طعمه.

٣ - وأما الإيمان بالرسل، فقد ادعوا أن خاتم الأولياء أعلم بالله من خاتم الأنبياء،...ومنهم من يدعي أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله، وأن الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته كما زعم ابن عربي.[٣٠]

فخالف بذلك الشرع مع مخالفة جميع أنبياء الله تعالى وأوليائه كما يقال: قال فخر عليهم السقف من فوقهم لا عقل ولا قران.

ويقول الإمام: "وبالجملة اتفقت طوائف السنة والشيعة على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها واحد من الخلفاء ولا يكون من بعد الصحابة أفضل من الصحابة، وأفضل أولياء الله تعالى أعظمهم معرفة بما جاء به الرسول وإتباعاً له كالصحابة الذين هم

---

٢٨ ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، مج٢/٣٦٤-٣٦٥.

٢٩ ابن تيمية: **التحفة العراقية**، ص٦٤.

٣٠ فؤاد: **ابن تيمية وموقفه من الفكر الفلسفي**، ص٢٥٢-٢٥٣.

أكمل الأمة في معرفة دينه وإتباعه، وأبو بكر الصديق أكمل معرفةً بما جاء به عملاً به فهو أفضل أولياء الله..."[٣١]. ويقول الإمام في موضع أخر مبيناً كفر ما ذهب إليه هؤلاء حيث يقول: "...وهذه الفتوى لا تحتمل بسط كلام هؤلاء، وبيان كفرهم، فإنهم من جنس القرامطة الباطنية والإسماعيلية الذين كانوا أكفر من اليهود والنصارى وأن قولهم يتضمن الكفر، بجميع الكتب والرسل، كما قال الشيخ إبراهيم الجعبري، لما اجتمع بابن عربي - صاحب الفصوص - فقال: رأيته شيخاً نحساً، يكذب بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي أرسله الله".[٣٢]

شهادة الإمام ابن تيمية لابن عربي

يقول محمد حسني الزين في كتابه (منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري): "إنني لم أجد في مؤلفات ابن تيمية رجلا سخط عليه شيخ الإسلام، وكفره بمثل القسوة التي كفر بها ابن عربي وهو عنده كافر ملحد زنديق".[٣٣]

إلا أننا نقول: على الرغم مما كان عليه ابن تيمية من الغلظة والقسوة على ابن عربي فإنه لم يخرج عن الموضوعية حيث لو راجعنا فتاوى الإمام نجده وفي مناسبات مختلفة يذكر ما لابن عربي وما عليه ويصفه بأنه أحسن من غيره وأقرب للإسلام منهم - القائلين بوحدة الوجود - أمثال: ابن سبعين والتلمساني وغيرهم فمثلا نجده يقول: "...وفي كتبه - مثل الفتوحات المكية وأمثالها - من الأكاذيب ما لا يخفى على لبيب هذا وهو أقرب إلى لإسلام من ابن سبعين، ومن القونوي، والتلمساني، وأمثاله من أتباعه، فإذا كان الأقرب بهذا الكفر الذي هو أعظم من كفر من اليهود والنصارى، فكيف بالذين هم أبعد عن الإسلام؟ و لم أصف عشر ما يذكرونه من الكفر".[٣٤]

ويقول في موضع أخر: "وهي مع كونها كفراً - قوله بوحدة الوجود - فهو أقربهم إلى الإسلام لما يوجد في كلامه من الكلام الجيد كثير، ولأنه لا يثبت على الاتحاد

---

٣١ ابن تيمية، أحمد عبد الحليم: **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، تصحيح وتعليق: محمود عبد الوهاب (د. م: دار الفكر، د. ط. ت) ص١٠٢-١٠٣.

٣٢ ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، مج٢/١٣٠.

٣٣ الزين، محمد حسين: **منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري** (بيروت: المكتب الإسلامي، د. ط، ١٩٧٩م) ص٣١٢.

٣٤ ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، مج٢/١٣١.

ثبات غيره، بل هو كثير الاضطراب فيه، وإنما هو قائم مع خياله الواسع الذي يتخيل فيه الحق تارة، والباطل أخرى، والله أعلم بما مات عليه"[٣٥]. فنجد الإمام لم يسخط على شخص ابن عربي، وإنما سخط على أفكاره وآراءه فلما وجد من غالى أكثر منه، أنصف القول فيه وربما ما ذهب إليه الأستاذ الزين يعود إلى عدم إطلاعه على مثل هذه الأقوال للإمام ابن تيمية وتبين لنا بما ذكرنا أن ابن عربي هو الأقرب إلى الإسلام في نظر ابن تيمية بين دعاة وحدة الوجود أمثال التلمساني وابن سبعين فعليه لا يحتاج الأمر إلى رأي الإمام فيهم.

أنواع الفناء عند الإمام ابن تيمية

قسم الإمام ابن تيمية رحمه الله الفناء إلى ثلاثة أقسام، فناء عن إرادة السوى، وفناء عن شهود السوى وفناء عن وجود السوى، فالأول عنده محمود والثالث مذموم، والثاني عنده ليس من لوازم الطريق، وإنما هو علامة نقص وإن كان يعذر صاحبها في حال الغيبة عما يتلفظ به.

يقول الإمام في الرسالة التدمرية: "والفناء يراد به ثلاثة أمور:

أحدهما: وهو الفناء الديني الشرعي -فناء عن إرادة السوى- الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، وهو أن يفنى عما لم يأمر الله به بفعل ما أمر الله به فيفنى عن عبادة غيره بعبادته، وعن طاعة غيره بطاعته وطاعة رسوله وعن التوكل على غيره بالتوكل عليه وعن محبة ما سواه بمحبته ومحبة رسوله وعن خوف غيره بخوفه، بحيث لا يتبع العبد هواه بغير هدى من الله، وبحيث يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما..."[٣٦]

الثاني: وهو الذي يذكره بعض الصوفية وهو أن يفنى عن شهود ما سوى الله تعالى - فناءً عن شهود السوى - فيفنى بمعبوده عن عبادته وبذكره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته بحيث يغيب عن شعوره بنفسه وبما سوى الله فهذا حال ناقص، وقد يعرض لبعض السالكين وليس هو من لوازم طريق الله، ولهذا لم

---

[٣٥] ابن تيمية: المرجع السابق، ص١٤٣.

[٣٦] ابن تيمية، أحمد عبد الحليم: **الرسالة التدمرية (تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرح)**، تحقيق: محمد عودة السعود (د. م: د. ن، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م) ص/٢٢.

يعرض مثل هذا للنبي ﷺ والسابقين الأولين. ومن جعل هذا نهاية السالكين فقد ضـــل ضلالاً مبيناً وكذلك من جعله من لوازم طريق الله فهو مخطئ، بل هو من عوارض طريق الله التي تعرض لبعض الناس دون بعض، ليس هو من اللوازم التي تحصل لكل سالك.[٣٧]

ويحصل هذا لبعض السالكين لشدة انجذاب القلوب إلى ذكر الله وعبادته بحيث لا يخطـــر بالقلوب غير الله سبحانه وكما أشار الإمام فإن في هذا النوع من الفناء علامة نقص وذلك لأنه يؤدي إلى غياب العقل والتمييز وعدم الشعور بالنفس لذا نجـــده يفضل من حصل له الإيمان و لم يغب عنه عقله حيث يقول: "ولكن من لم يـــزل عقله من أنه قد حصل له من الإيمان ما حصل لهم أو مثله أو أكمل منه فهو أفضل منهم وهذه حال الصحابة رضي الله عنهم وهو حال نبينا ﷺ ، فإنه أسري به إلى السماء واراه الله ما أراه وأصبح كبائت لم يتغير عليه حاله، فحاله أفضل من حال موسى عليه السلام الذي خرَّ صعقاً لما تجلى زبه للجبل، وحال موسى حال جليلة علية فاضلة ولكن حال محمد ﷺ أكمل وأعلا وافضل".[٣٨]

ولكـــنه مع ذلك لا ينكر على من حصل له هذه عن سبب غير محظور كقوة المحـــبة والذكـــر ويعذرهم فيما يصدر عنهم في تلك الحالة كما حصل لأبي يزيد البسطامي حيث يقول في أعمال القلوب أو المقاومات والأحوال: "وقد يقع لبعض المصـــطلمين من أهل الفناء في المحبة أن يغيب بمحبوبه عن نفسه، ويغيب بمذكوره عن ذكره، وبمعروفه عن معرفته، وبموجوده عن وجوده، حتى لا يشهد إلا محبوبه فيظن في زوال تميزه ونقص عقله وسكره إنه هو محبوبه كما قيل: إن محبوبا وقع في اليم فألقى المحب نفسه خلفه، فقال: أنا وقعت فأنت ما الذي أوقعك؟ فقال غبت بك عني، فظننت أنك أني فلا ريب أن هذا خطأ وضلال.

ولكن إذا كان هذا لقوة المحبة والذكر من غير أن يحصل عن سبب محظور زال

---

٣٧ ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، مج١١/١٢-١٣.

٣٨ المرجع السابق، مج١١/١٢-١٣.

بـــه عقله كان معذوراً في زوال عقله، فلا يكون مؤاخذاً بما يصدر منه من الكلام في هذه الحال التي زال فيها عقله بغير سبب محظور.[٣٩]

أما الثالث: وهو الفناء عن وجود السوى، فحيث يرى أن وجود المخلوق هو عـــين وجود الخالق، وأن الواحد واحد بالعين، فهذا قول أهل الإلحاد والاتحاد الذين هم من أضل العباد.[٤٠]

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله بعد أن يذكر حديث: (لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه... وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه). يقول: "فبين سبحانه أنه يتردد لأن التردد تعارض إرادتين، وهو سبحانه يحب ما يحب ويكره ما يكره، وهو يكره الموت فهو يكرهه، كما قال: وأنا أكره مساءته، وهو سبحانه قد قضى بالموت فهو يريد أن يموت، فسمى ذلك ترددا ثم بين أنه لابد من وقوع ذلك.

وهذا اتفاق واتحاد في المحبوب المرضي المأمور به والمبغض المكروه المنهي عنه، وقد يقال له اتحاد نوعي، وصفي، وليس ذلك اتحاد الذاتين، فإن ذلك محال ممتنع، والقائل بـــه كافر، وهو قول النصارى والغالية من الرافضة والنساك من الحلاجية، ونحوهم، وهـــو الاتحـــاد المقيد في شيء بعينه. وأما الاتحاد المطلق الذي هو قول أهل وحدة الوجـــود الذيـــن يـــزعمون أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق، فهذا تعطيل للصانع وجحود له، وهو جامع لكل شرك..".[٤١]

والفـــرق بين الفناء عن شهود السوى، وبين الفناء عن وجود السوى أن الفناء عـــن وجود السوى معتقده يرى أن ما سوى الله لا وجود له، وإن الوجود الحق

---

٣٩ ابن تيمية: **التحفة العراقية**، ص٦٤.

٤٠ ابن تيمية: **الرسالة التدمرية**، ص٢٢٢، وانظر: الفناء عند ابن تيمية في (المتولي، صبري: **منهج ابن تيمية في تفسير القرآن الكريم** (القاهرة: عالم الكتب، د.ط، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م) ص١٩٠، وفؤاد: **ابن تيمية وموقفه من الفكر الفلسفي**، ص٢٦٤-٢٦٥، وأبو زهرة، محمد: **ابن تيمية حياته وعصره**، ص٢٨٥-٢٨٦).

٤١ ابن تيمية: **التحفة العراقية**، ص٦٢-٦٤.

لله، وإن مـــا ســـوى الله صورة للحق، ويعتقد هذا في حال الصحو، وهو كامل الـــتفكير، وأمـــا الفناء عن شهود السوى فإن صاحبه في حال غيبة فني فيها عن شهود ما سوى الله وفني عن نفسه.[٤٢]

وكذلـــك في الأولى - وحدة الشهود - يفني الصوفي في حبه لله عن نفسه وعن كـــل ما سوى الله، فلا يشاهد في الوجود غيره، وفي الثانية، يعلن الصوفي الوحدة بين الحق والخلق.[٤٣]

خاتمة

تبين لنا أن الإمام ابن تيمية قد التزم بالموضوعيَّة والوسطيَّة عند إصدار حكمه على الصوفيَّة وعلى التصوف فلم يعمم القول عند حكمه على الصوفية بأنهم منحرفون أو ضالون وما إلى ذلك من الأحكام، وإنما قسم الصوفية أقساماً وصنفهم أصنافاً ثم حكم على كل صنف بما يلائم حاله. حيث نراه يقرُّ بالتصوف السني الملتزم بآداب الدين والعقل ويستشهد بآراء شيوخ هذا التصوف السني أمثال الجنيد وغيره.

ثم وجدنا كيف أن الإمام قد وقف موقفاً متشدداً من مظاهر الغلو التي ظهرت عند بعض المستصوفة من القول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود وما إلى ذلك..ومع ذلك فإنه ناقش أقوالهم رادّاً على أدلتهم بأسلوب علمي ولم يحكم على الغلاة بالكفر والزندقة جزافاً...ثم نجد الموضوعية مرة أخرى في موقفه من ابن عربي وشهادته له بأنه أقرب إلى الإسلام من غيره أمثال ابن سبعين، ومن القونوي، والتلمساني وغيرهم على الرغم من أنه قد صدر منه ما يؤدي إلى الكفر...

---

٤٢ شرف الدين، عبد العظيم بن عبدالسلام: **ابن قيم الجوزية، عصره ومنهجه وآراءه في الفقه والعقائد والتصوف** (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ط٢، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م) ص٤٦٩.

٤٣ درنيقة والمصري: **ابن تيمية والصوفية**، ص١٥٢.